الإيمان.

* وعلى هٰذا؛ لو مررت بصاحب كبيرة؛ فإني أسلم عليه؛ لأن النبي ﷺ ذكر من حقوق المسلم على المسلم: «إذا لقيته؛ فسلم عليه»[1]، وهٰذا الرجل ما زال مسلماً، فأسلم عليه؛ إلا إذا كان في هجره مصلحة؛ فحينئذ أهجره للمصلحة؛ كما جرى لكعب ابن مالك وصاحبيه الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فهجرهم المسلمون خمسين ليلة حتى تاب الله عليهم[2].

* وهل نحبه على سبيل الإطلاق أو نكرهه على سبيل الإطلاق؟

نقول: لا هٰذا ولا هٰذا؛ نحبه بما معه من الإيمان، ونكرهه بما معه من المعاصي، وهٰذا هو العدل.

* * *

* قوله: «**ولا يسلبون الفاسق المِلِّي الإسلام بالكلية**»:

* «**الفاسق**»: هو الخارج عن الطاعة.

* والفسق ـ كما أشرنا إليه سابقاً ـ ينقسم إلى فسق أكبر مخرج عن الإسلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠]، وفسق أصغر ليس مخرجاً عن الإسلام؛

---

(١) رواه: البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

(٢) قصة كعب بن مالك؛ رواها البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الحجرات: ٦].

* والفاسق الذي لا يخرج من الإسلام هو الفاسق الملي، وهو من فعل كبيرة، أو أصر على صغيرة.

ولهٰذا قال المؤلف: «**المِلِّي**»؛ يعني: المنتسب إلى الملة الذي لم يخرج منها.

فأهل السنة والجماعة لا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية؛ فلا يمكن أن يقولوا: إن هٰذا ليس بمسلم، لٰكن يمكن أن يقولوا: إن هٰذا ناقص الإسلام أو ناقص الإيمان.

* قوله: «**ولا يخلدونه في النار**»: معطوف على قوله: «ولا يسلبون»: وعلى هٰذا يكون قوله: «كما تقول المعتزلة»: عائداً للأمرين؛ لأن المعتزلة يسلبونه الإسلام ويخلدونه في النار، وإن كانوا لا يطلقون عليه الكفر.

* قوله: «**بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق**»: مراد المؤلف بـ«**المطلق**» هنا؛ يعني: إذا أطلق الإيمان؛ فالوصف يعود إلى الاسم لا إلى الإيمان؛ كما سيتبين من كلام المؤلف رحمه الله؛ فيكون المراد به مطلق الإيمان الشامل للفاسق والعدل.

* قوله: «**كما في قوله: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النساء: ٩٢]**»؛ فإن المؤمنة هنا يدخل فيه الفاسق.

فلو أن إنساناً اشترى رقيقاً فاسقاً وأعتقه في كفارة؛ أجزأه؛

مع أن الله قال: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾؛ فكلمة ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾ تشمل الفاسق وغيره.

* قوله: «**وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق**»؛ أي: في مطلق اسم الإيمان.

* «**كما في قوله تعالى**: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [**الأنفال: ٢**]»؛ فـ﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر؛ يعني: ما المؤمنون إلا هٰؤلاء، والمراد بالمؤمنين؛ يعني: ذوي الإيمان المطلق الكامل.

فلا يدخل في المؤمنين هنا الفساق؛ لأن الفاسق لو تلوت عليه آيات الله؛ ما زادته إيماناً، ولو ذكرت الله له؛ لم يَوْجَل قلبه.

فبين المؤلف أن الإيمان قد يراد به مطلق الإيمان، وقد يراد به الإيمان المطلق.

فإذا رأينا رجلاً: إذا ذكر الله؛ لم يوجل قلبه، وإذا تليت عليه آياته؛ لم يزدد إيماناً؛ فيصح أن نقول: إنه مؤمن، ويصح أن نقول: ليس بمؤمن؛ فنقول: مؤمن؛ أي: معه مطلق الإيمان؛ يعني: أصله، وليس بمؤمن؛ أي: ليس معه الإيمان الكامل.

* قوله: «**وقوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها**

أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»[1].

هٰذا مثال ثان للإيمان الذي يراد به الإيمان المطلق؛ أي: الكامل.

* قوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»: هنا نفى عنه الإيمان الكامل حين زناه، أما بعد أن يفرغ من الزنى؛ فقد يؤمن؛ فقد يلحقه الخوف من الله بعد أن يتم الزنى فيتوب، لٰكن حين إقدامه على الزنى لو كان عنده إيمان كامل؛ ما أقدم عليه، بل إيمانه ضعيف جدّاً حين أقدم عليه.

* وتأمل قوله: «**حين يزني**»: احترازاً من أنه قبل الزنى وبعده تختلف حاله؛ لأن الإنسان ما دام لم يفعل الفاحشة، ولو هم بها؛ فهو على أمل ألا يقدم عليها.

* وقوله: «**ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»؛ أي: كامل الإيمان؛ لأن الإيمان يردعه عن سرقته.

* وقوله: «**ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»؛ أي: كامل الإيمان.

* «**ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم**»: «**ذات شرف**»؛ أي: ذات قيمة عند الناس، ولهٰذا يرفعون إليه أبصارهم؛ فلا ينتهبها حين ينتهبها وهو مؤمن؛ أي: كامل الإيمان.

---

(١) رواه: البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

هٰذه أربعة أشياء: الزنى (وهو الجماع في فرج حرام)، والسرقة (وهي أخذ المال المحترم على وجه الخفية من حرز مثله)، وشرب الخمر (والمراد تناوله بأكل أو شرب، والخمر كل ما أسكر على وجه اللذة والطرب)، والنهبة التي لها شرف وقيمة عند الناس (قيل: الانتهاب: أخذ المال على وجه الغنيمة)؛ لا يفعل هٰذه الأشياء الأربعة أحد وهو مؤمن بالله حين فعله لها.

فالمراد بنفي الإيمان هنا: نفي تمام الإيمان.

* * *

* قول المؤلف: «**ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته؛ فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم**».

* هٰذا بيان للوصف الذي يستحقه الفاسق الملي عند أهل السنة والجماعة.

* والفرق بين مطلق الشيء والشيء المطلق: أن الشيء المطلق هو الشيء الكامل، ومطلق الشيء؛ يعني: أصل الشيء، وإن كان ناقصاً.

فالفاسق المِلِّي لا يعطى الاسم المطلق في الإيمان، وهو الاسم الكامل، ولا يسلب مطلق الاسم؛ فلا نقول: ليس بمؤمن، بل نقول: مؤمن ناقص الإيمان، أو: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو المذهب العدل

الوسط.

* وخالفهم في ذٰلك طوائف:

ـ المرجئة؛ يقولون: مؤمن كامل الإيمان.

ـ والخوارج؛ يقولون: كافر.

ـ والمعتزلة؛ يقولون: في منزلة بين منزلتين.

* * *

فصل
في موقف أهل السنة والجماعة
من أصحاب رسول الله ﷺ

* قوله: «ومن أصول أهل السنة والجماعة»؛ أي: من أسس عقيدتهم.

* قوله: «سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ»: ولم يقل: وأفعالهم؛ لأن الأفعال متعذرة بعد موت الصحابة، حتى لو فرض أن أحداً نبش قبورهم وأخرج جثثهم؛ فإن ذٰلك لا يؤذيهم ولا يضرهم، لٰكن الذي يمكن أن يكون بعد موت الصحابة نحوهم هو ما يكون في القلب وما ينطق به اللسان.

* فمن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ؛ سلامة القلب من البغض والغل والحقد والكراهة، وسلامة ألسنتهم من كل قول لا يليق بهم.

فقلوبهم سالمة من ذٰلك، مملوءة بالحب والتقدير والتعظيم

لأصحاب رسول الله ﷺ على ما يليق بهم.

* فهم يحبون أصحاب النبي ﷺ، ويفضلونهم على جميع الخلق؛ لأن محبتهم من محبة رسول الله ﷺ، ومحبة رسول الله ﷺ من محبة الله، وألسنتهم أيضاً سالمة من السب والشتم واللعن والتفسيق والتكفير وما أشبه ذٰلك مما يأتي به أهل البدع؛ فإذا سلمت من هٰذا؛ ملئت من الثناء عليهم والترضي عنهم والترحم والاستغفار وغير ذٰلك، وذٰلك للأمور التالية:

أولاً: أنهم خير القرون في جميع الأمم، كما صرح بذٰلك رسول الله ﷺ حين قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[1].

ثانياً: أنهم هم الواسطة بين رسول الله ﷺ وبين أمته؛ فمنهم تلقت الأمة عنه الشريعة.

ثالثاً: ما كان على أيديهم من الفتوحات الواسعة العظيمة.

رابعاً: أنهم نشروا الفضائل بين هٰذه الأمة من الصدق والنصح والأخلاق والآداب التي لا توجد عند غيرهم، ولا يعرف هٰذا من كان يقرأ عنهم من وراء جدر، بل لا يعرف هٰذا إلا من عاش في تاريخهم وعرف مناقبهم وفضائلهم وإيثارهم واستجابتهم لله ولرسوله.

* فنحن نُشْهِد الله عز وجل على محبة هٰؤلاء الصحابة،

---

(١) رواه: البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣)؛ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

ونثني عليهم بألسنتنا بما يستحقون، ونبرأ من طريقين ضالين: طريق الروافض الذين يسبون الصحابة ويغلون في آل البيت، ومن طريق النواصب الذين يبغضون آل البيت.

* ونرى أن لآل البيت إذا كانوا صحابة ثلاثة حقوق: حق الصحبة، وحق الإيمان، وحق القرابة من رسول الله ﷺ.

* وقوله: «**لأصحاب رسول الله ﷺ**»: سبق أن أصحاب رسول الله ﷺ كل من اجتمع به مؤمناً به ومات على ذٰلك، وسمي صاحباً؛ لأنه إذا اجتمع بالرسول ﷺ مؤمناً به؛ فقد التزم اتباعه، وهٰذا من خصائص صحبة الرسول ﷺ، أما غير الرسول؛ فلا يكون الشخص صاحباً له حتى يلازمه ملازمة طويلة يستحق أن يكون بها صاحباً.

* * *

* ثم استدل المؤلف رحمه الله لموقف أهل السنة بقوله: «**كما وصفهم الله به في قوله تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]».

* هٰذه الآية بعد آيتين سابقتين هما قوله تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، وعلى رأس هٰؤلاء المهاجرين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

* ففي قوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾: إخلاص النية، وفي قوله: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: تحقيق العمل، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾؛ أي: لم يفعلوا ذٰلك رياء ولا سمعة، ولٰكن عن صدق نية.

* ثم قال في الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]؛ فوصفهم الله بأوصاف ثلاث: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾، ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

* ثم قال تعالى بعد ذٰلك: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ . . .﴾ الآية [الحشر: ١٠]، وهم التابعون لهم بإحسان وتابعوهم إلى يوم القيامة؛ فقد أثنوا عليهم بالأخوة، وبأنهم سبقوهم بالإيمان، وسألوا الله أن لا يجعل في قلوبهم غلًّا لهم؛ فكل من خالف في ذٰلك وقدح فيهم ولم يعرف لهم حقهم؛ فليس من هٰؤلاء الذين قال الله عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾.

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن قوم يسبون الصحابة؛ قالت: لا تعجبون! هٰؤلاء قوم انقطعت أعمالهم بموتهم، فأحب الله أن يجري أجرهم بعد موتهم[1]!!

---

(١) لما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قيل لعائشة: «إن ناساً يتناولون أصحاب النبي ﷺ، حتى أبا بكر وعمر، فقالت: وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم=

* وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، ولم يقل: للذين سبقونا بالإيمان؛ ليشمل هؤلاء السابقين وغيرهم إلى يوم القيامة.

* ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: ولرأفتك ورحمتك نسألك المغفرة لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان.

* * *

* قوله: «**وطاعة النبي ﷺ في قوله: «لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده؛ لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً؛ ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**[1]».

* «**طاعة**»: معطوف على قوله: «سلامة»؛ أي: من أصول أهل السنة والجماعة: طاعة النبي ﷺ... إلخ.

* السب: هو القدح والعيب؛ فإن كان في غيبة الإنسان؛ فهو غيبة.

* وقوله: «**أصحابي**»؛ أي: الذين صحبوه، وصحبة النبي ﷺ لا شك أنها تختلف: صحبة قديمة قبل الفتح، وصحبة متأخرة بعد الفتح.

والرسول عليه الصلاة والسلام كان يخاطب خالد بن الوليد

= العمل فأحب الله أن لا ينقطع عنهم الأجر»، ذكره ابنُ الأثير في «جامع الأصول» (٨/ ٥٥٤)، وعزاه لرزين!!

(١) رواه: البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)؛ من حديث أبي سعيد وأبي هريرة.

حين حصل بينه وبين عبد الرحمٰن بن عوف ما حصل من المشاجرة في بني جذيمة، فقال النبي ﷺ لخالد: «لا تسبوا أصحابي»، والعبرة بعموم اللفظ.

ولا شك أن عبد الرحمٰن بن عوف وأمثاله أفضل من خالد بن الوليد رضي الله عنه من حيث سبقهم إلى الإسلام؛ لهٰذا قال: «لا تسبوا أصحابي»؛ يخاطب خالد بن الوليد وأمثاله.

وإذا كان هٰذا بالنسبة لخالد بن الوليد وأمثاله؛ فما بالك بالنسبة لمن بعدهم.

* وقوله: «**فوالذي نفسي بيده؛ لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً...**» إلخ.

* أقسم النبي عليه الصلاة والسلام، وهو الصادق البار بدون قسم: «لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً؛ ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

* «**أحد**»: جبل عظيم كبير معروف في المدينة.

* والمد: ربع الصاع.

* «**ولا نصيفه**»؛ أي: نصفه. قال بعضهم: من الطعام؛ لأن الذي يقدر بالمد والنصيف هو الطعام، أما الذهب فيوزن، وقال بعضهم: من الذهب؛ بقرينة السياق؛ لأنه قال: «لو أنفق مثل أحد ذهباً؛ ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»؛ يعني: من الذهب.

وعلى كل حال؛ فإن قلنا: من الطعام؛ فمن الطعام، وإن

قلنا: من الذهب؛ فليكن من الذهب، ونسبة المد أو نصف المد من الذهب إلى جبل أحد من الذهب لا شيء.

* فالصحابة رضي الله عنهم إذا أنفق الإنسان منا مثل أحد ذهباً؛ ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، والإنفاق واحد، والمنفَق واحد، والمنفَق عليه واحد، وكلهم بشر، لٰكن لا يستوي البشر بعضهم مع بعض؛ فهٰؤلاء الصحابة رضي الله عنهم لهم من الفضائل والمناقب والإخلاص والاتباع ما ليس لغيرهم؛ فلإخلاصهم العظيم، واتباعهم الشديد؛ كانوا أفضل من غيرهم فيما ينفقون.

* وهٰذا النهي يقتضي التحريم؛ فلا يحل لأحد أن يسب الصحابة على العموم، ولا أن يسب واحداً منهم على الخصوص؛ فإن سبهم على العموم؛ كان كافراً، بل لا شك في كفر من شك في كفره، أما إن سبهم على سبيل الخصوص؛ فينظر في الباعث لذٰلك؛ فقد يسبهم من أجل أشياء خَلْقية أو خُلُقية أو دينية، ولكل واحد من ذٰلك حكمه.

* * *

* قوله: «**ويقبلون**»؛ أي: أهل السنة.

* قوله: «**ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم**»:

* الفضائل: جمع فضيلة، وهو ما يفضل به المرء غيره ويعد

منقبة له.

* والمراتب: الدرجات؛ لأن الصحابة درجات ومراتب؛ كما سيذكرهم المؤلف رحمه الله.

* فما جاء من فضائل الصحابة ومراتبهم؛ فإن أهل السنة والجماعة يقبلون ذٰلك:

ـ فمثلاً يقبلون ما جاء عنهم من كثرة صلاة أو صدقة أو صيام أو حج أو جهاد أو غير ذٰلك من الفضائل.

ـ ويقبلون مثلاً ما جاء في أبي بكر رضي الله عنه أن النبي ﷺ حث على الصدقة، فجاء أبو بكر بجميع ماله[1]، وهٰذه فضيلة.

ـ ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة من أن أبا بكر رضي الله عنه كان وحده صاحب رسول الله ﷺ في هجرته في الغار.

ـ ويقبلون ما جاء به النص من قول الرسول عليه الصلاة والسلام في أبي بكر: «إن من أمن الناس علي في ماله وصحبته أبو بكر»[2].

ـ وكذٰلك ما جاء في عمر وفي عثمان وفي علي رضي الله عنهم، وما جاء في غيرهم من الصحابة من الفضائل؛ يقبلون هٰذا

---

(١) رواه: أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)؛ وقال هذا حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني في «المشكاة» (٣/ ١٧٠٠).

(٢) رواه: البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

كله.

ـ وكذٰلك المراتب، فيقبلون ما جاء في مراتبهم؛ فالخلفاء الراشدون هم القمة في هٰذه الأمة في المرتبة، وأعلاهم مرتبة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي؛ كما سيذكره المؤلف.

* * *

* قوله: «**ويفضلون من أنفق من قبل الفتح ـ وهو صلح الحديبية ـ وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل**»:

* ودليل ذٰلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠].

فالذين أنفقوا وقاتلوا قبل صلح الحديبية أفضل من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكان صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة في ذي القعدة؛ فالذين أسلموا قبل ذٰلك وأنفقوا وقاتلوا أفضل من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا.

* فإذا قال قائل: كيف نعرف ذٰلك؟

فالجواب: أن ذٰلك يعرف بتاريخ إسلامهم؛ كأن نرجع إلى «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر أو «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر أو غير ذٰلك من الكتب المؤلفة في الصحابة رضي الله عنهم، ويعرف أن هٰذا أسلم من قبل أو أسلم من بعد.

* وقول المؤلف: «**وهو صلح الحديبية**»:

ـ هذا أحد القولين في الآية، وهو الصحيح، ودليله قصة خالد مع عبد الرحمٰن بن عوف، وقول البراء بن عازب: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية. رواه البخاري[1].

ـ وقيل: المراد فتح مكة، وهو قول كثير من المفسرين أو أكثرهم[2].

* * *

* قوله: «**ويقدمون المهاجرين على الأنصار**»:

ـ المهاجرون: هم الذين هاجروا إلى المدينة في عهد النبي ﷺ قبل فتح مكة.

ـ والأنصار هم الذين هاجر إليهم النبي ﷺ في المدينة.

* وأهل السنة يقدمون المهاجرين على الأنصار لأن المهاجرين جمعوا بين الهجرة والنصرة، والأنصار أتوا بالنصرة فقط.

ـ فالمهاجرون تركوا أهلهم وأموالهم، وتركوا أوطانهم، وخرجوا إلى أرض هم فيها غرباء؛ كل ذٰلك هجرة إلى الله

---

(١) رواه البخاري (٤١٥٠).

(٢) انظر: «الدر المنثور» (٦/٥٨).

ورسوله، ونصرة لله ورسوله.

ـ والأنصار أتاهم النبي ﷺ في بلادهم، ونصروا النبي ﷺ، ولا شك أنهم منعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم.

ودليل تقديم المهاجرين: قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]؛ فقدم المهاجرين على الأنصار، وقوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧]؛ فقدم المهاجرين، وقوله في الفيء: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ . . .﴾ [الحشر: ٨]، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩].

* * *

* قوله: «**ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر ـ وكانوا ثلاث مئة وبضعة عشر ـ: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم**».

* أهل بدر مرتبتهم من أعلى مراتب الصحابة.

* وبدر مكان معروف، كانت فيه الغزوة المشهورة، وكانت في السنة الثانية من الهجرة في رمضان، وسمى الله تعالى يومها يوم الفرقان.

* وسببها أن النبي ﷺ سمع أن أبا سفيان قدم بعير من الشام إلى مكة، فندب أصحابه من أجل هٰذه العير فقط، فانتدب منهم ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً، معهم سبعون بعيراً وفرسان،

وخرجوا من المدينة لا يريدون قتالاً، لٰكن الله عز وجل بحكمته جمع بينهم وبين عدوهم.

فلما سمع أبو سفيان بذٰلك، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام خرج إليه لتلقي العير؛ أخذ بساحل البحر، وأرسل صارخاً إلى أهل مكة يستنجدهم، فانتدب أهل مكة لذٰلك، وخرجوا بأشرافهم وكبرائهم وزعمائهم، خرجوا على الوصف الذي ذكر الله عز وجل: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وفي أثناء ذٰلك جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير، فتآمروا بينهم في الرجوع، لٰكن أبا جهل قال: والله؛ لا نرجع حتى نقدم بدراً، فنقيم فيها ننحر الجزور ونسقي الخمور وتضرب علينا القيان وتسمع بنا العرب؛ فلا يزالون يهابوننا أبداً!!

وهٰذا الكلام يدل على الفخر والخيلاء والاعتزاز بالنفس، ولٰكن ـ ولله الحمد ـ كان الأمر على عكس ما يقول؛ سمعت العرب بهزيمتهم النكراء، فهانوا في نفوس العرب!!

قدموا بدراً، والتقت الطائفتان، وأوحى الله تعالى إلى الملائكة: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۞ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الأنفال: ١٢ ـ ١٤].

حصل اللقاء بين الطائفتين، وكانت الهزيمة ـ ولله الحمد ـ

على المشركين، والنصر المبين للمؤمنين، انتصروا، وأسروا منهم سبعين رجلاً، وقتلوا سبعين رجلاً، منهم أربعة وعشرون رجلاً من كبرائهم وصناديدهم؛ سُحبوا، فأُلقوا في قليب من قُلب بدر خبيثة قبيحة.

* ثم إن النبي ﷺ بعد انتهاء الحرب بثلاثة أيام ركب ناقته، ووقف عليهم يدعوهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان ابن فلان! أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقّاً؛ فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقّاً». فقالوا: يا رسول الله! ما تُكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال: «والذي نفسي بيده؛ ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»[1].

والنبي عليه الصلاة والسلام وقف عليهم توبيخاً وتقريعاً وتنديماً، وهم قد وجدوا ما وعد الله حقّاً؛ قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الأنفال: ١٤]؛ فوجدوا النار من حين ماتوا وعرفوا أن الرسول حق، ولٰكن أنى لهم التناوش من مكان بعيد.

* فأهل بدر الذين جعل الله على أيديهم هٰذا النصر المبين والفرقان الذي هاب العرب به رسول الله ﷺ وأصحابه، وكان لهم منزلة عظيمة بعد هٰذا النصر؛ اطلع الله عليهم، وقال: «اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم»[2]؛ فكل ما يقع منهم من ذنوب؛ فإنه

---

(١) رواه: البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٤)؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه: البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)؛ عن علي رضي الله عنه؛ في قصة =

مغفور؛ لهم؛ بسبب هٰذه الحسنة العظيمة الكبيرة التي جعلها الله تعالى على أيديهم.

* وفي هٰذا الحديث دليل على أن ما يقع منهم من الكبائر مهما عظم؛ فهو مغفور لهم.

* وفيه بشارة بأنهم لن يموتوا على الكفر؛ لأنهم مغفور لهم، وهٰذا يقتضي أحد أمرين:

ـ إما أنهم لا يمكن أن يكفروا بعد ذٰلك.

ـ وإما أنهم إن قدر أن أحدهم كفر؛ فسيوفق للتوبة والرجوع إلى الإسلام.

وأيّاً كان؛ ففيه بشارة عظيمة لهم، ولم نعلم أن أحداً منهم كفر بعد ذٰلك.

* * *

* قوله: «**وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة؛ كما أخبر به النبي ﷺ[1]، بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا**

= حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه.

(١) لما رواه مسلم (٢٤٩٦)، عن جابر بن عبد الله يقول: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها»، ورواه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٥٩) بنحوه.